مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

# شرح
# الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

# شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

# يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

# الحلقة الثانية

## مقدمة ثانية لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الثانية من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة. مرَّ في الحلقة السابقة شيءٌ من كلامٍ كان بمثابة مقدمةٍ أولى قبل الشروع في بيان معاني وفحوى نص الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه والذي نعيشُ في هذه الأيام أيام ولادتهِ وأيام شهادتهِ أيضاً على ما أخبرت به جملة من الروايات والأخبار، بشكلٍ موجز أشيرُ إلى أهم نقطةٍ تقدَّمَ الحديث عنها في الحلقة الماضية، النقطةُ المهمة التي تحدَّثتُ عنها والتي لابد أن نأخذها بنظر الاعتبار على طول حلقات هذا البرنامج حين بيان معاني ومضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ إنَّ كلامنا لابد أن يكونَ محصوراً ولابد أن يكون محاطاً بسياجٍ تحدثتُ فيه عن أساسين مهمين:

الأساس الأول: التوحيد.

والأساس الثاني: الولاية بمعناها الأعم ولاية النبي ثم ولاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأن جملة عقائدنا إنما هي تندرجُ تحت عقيدة التوحيد فكل عقيدةٍ وكل فكرةٍ وكل قولٍ يتعارض مع عقيدة التوحيد لا قيمة له ومرفوضٌ أساساً بالجملة وبالتفصيل، أشرتُ إلى أمرين مهمين بشكل سريع أتناولهما في هذه الحلقة:

الأمر الأول: ما جاء في الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه والرواية مرويةُ عن إمامنا الزاكي العسكري – فَقيلَ للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَن يَنْتَحِلُ مُوَالاتكُم يَزْعَمُ أَنَّ البَعْوضَة عليٌّ عَلَيهِ السَّلام** – المراد من البعوضة الإشارة إلى الآية الكريمة التي أشرتُ إليها وهي الآية السادسة والعشرون من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الكلامُ عن هذه الآية الشريفة – فَقيلَ للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَن يَنْتَحِلُ مُوَالاتكُم يَزْعَمُ أَنَّ البَعْوضَة عليٌّ عَلَيهِ السَّلام وَأَنَّ مَا فَوقَهَا وَهوَ الذُباب** – يعني أكبر منها – **وَأَنَّ ما فوقها وهو الذباب مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الباقر عليه السلام: سَمِعَ هؤلاء شيئاً لم يضعوه على وجهه إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً ذات يوم هو وعليٌّ عليه السلام إذ سَمِعَ قائلاً يقول: ما شاء الله وشاء مُحَمَّد، وسَمِعَ**

**آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقرنوا مُحَمَّداً وعليّاً بالله عزَّ وجل ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء مُحَمَّد، ما شاء الله ثم شاء عليّ إن مشيئة الله هي القاهرة التي لا تُساوى ولا تُكافى ولا تُدانى، وما مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله في الله وفي قدرته إلا كذبابةٍ تطيرُ في هذه المسالك الواسعة وما عليٌّ عليه السلام في الله وفي قدرتهِ إلا كبعوضةٍ في جملة هذه المسالك مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وعليّ هو الفضل الذي لا يفي بهِ فضله على جميع خلقه من أول الدهر إلى آخره، هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه في ذكر الذباب والبعوضة في هذا المكان** – الرواية لا تحتاجُ إلى شرحٍ وإنما أوردتها مرةً ثانية ذكرتها في الحلقة السابقة وها أني أتلوها على مسامعكم في الحلقة الثانية لتوكيد هذا المعنى ولتأكيد هذه الحقيقة من أن كل وجودٍ إذا ما قيسَ بوجود الله سبحانه وتعالى فما هو إلا ظِلال، الوجود الأصل هو الوجود الإلهي الأول، هو الأول الذي لا أولية لأوليته وهو الآخرُ الذي لا آخرية لآخريته، هو الأول على أتم الحقيقة، وهو الآخر على أتم الحقيقةِ، وهو الظاهرُ على أتم الحقيقة، وهو الباطنُ على أتم الحقيقةِ، وهو الواسعُ المحيط بكل شيء على أتم الحقيقة أيضاً، الرواية هنا واضحةٌ جليّةٌ صريحةٌ في بيان مراتب أهل البيت إذا ما قيست بالله سبحانه وتعالى، أشرتُ إلى هذا المعنى.

وأشرتُ أيضاً إلى ما جاء في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور المباركة، الآية المعروفة بآية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وبينت جوانب من معنى هذه الآية لا أعيد ما بينتهُ في الحلقة الماضية لكنني أشير فقط إلى نقطتين:

النقطة الأولى: بأن هذه الآية هي أعظم آيةٍ أشارت إلى أعظم منازل أهل البيت، إلى أعظم منازل النبي وأهل بيتهِ، هذه الآية تحدثت عن الحقائق الأولى، عن الحقيقة المُحَمَّدية، عن الحقيقة العلوية، عن الأنوار الأولى، عن الأشباح الأولى، عن الحقائق الأولى، عن حقائق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه الآية يمكن أن أقول عنها بأنها أعظم آيةٍ في كتاب الله تحدثت عن أعظم منازل النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجوهر الآية ولُبابها الحقيقة الزهرائية، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة حقيقة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، هذه الشجرة المباركة الزيتونة التي لا هي شرقية ولا هي غربية، هي منزهةٌ عن العوالم العلوية ومنزهةٌ عن العوالم السفلية، هذه حقائق أسمى من كل هذه العوالم،

العوالم الشرقية هي العوالم العلوية التي أشرق فيها النور، والعوالم الغربية هي العوالم السفلية والتي أشرقت فيها ظلمات الطبيعة، أشرقت فيها ولم تُشرق فيها الأنوار القادسة، قيل لها غربية لأن الأنوار ما أشرقت فيها وإنما الذي أشرق فيها أيُّ شيءٍ؟ أشرق فيها ظلام الطبيعة وحينما أقول أشرق فيها ظلام الطبيعة فهذا معنىً مجازي، العوالم الغربية هي العوالم الطبيعية، عالمنا الأرضي وما يشبههُ من العوالم الأخرى، في السماء الدنيا أو ما دون ذلك، ما تسمى بالعوالم السفلية، ما تسمى بالعوالم المظلمة، ما تسمى بالعوالم الترابية، ما تسمى بالعوالم الطبيعية سمي ما شئت، هذه الحقائق لا هي شرقية ولا هي غربية لأن ما في العوالم الشرقية وما في العوالم الغربية إنما هو مشتقٌّ من أنوار هذه الشجرة، أول ما خلق الله خلق الله هذه الشجرة، هذه الشجرة الزيتونة التي جعلها لا شرقيةً ولا غربية وإنما من نورها أشرقت العوالم الشرقية وأشرقت العوالم الغربية، وكما قلت قبل قليل فالعوالم الشرقية هي العوالم العلوية ما تسمى بعالم الملأ الأعلى أما العوالم الغربية فهي العوالم السفلية وهي عوالم الطبيعة وهي عوالم الغواسق والظلمات المادية، فهذه الحقيقة هي الشجرة المباركة هي الحقيقة التي قُدِّست ونُزِّهت عن أي شيءٍ؟ عن العوالم الشرقية وعن العوالم الغربية، ومن هنا تتضح حقيقة هذه الشجرة ومنزلة هذه الشجرة.

الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة إنما يكون بين هذا الأمر الذي بيّنهُ إمامنا الباقرُ في الرواية التي تلوتها على مسامعكم مرةً ثانية قبل قليل، وبين هذا المضمون العالي الكبير الذي أشارت إليه آية النور الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور المباركة، هذه المسألة الأولى وهذا الأمر الأول الذي أحببتُ الإشارة إليه وأحببتُ تأكيدهُ لأجلِ التذكير لأجل أن تكون هذه المعاني حاضرةً دائماً حينما نشرعُ في بيان مضامين الزيارة الشريفة.

الحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمة ثانية قبل أن نشرع في بيان معاني الزيارة الشريفة.

المسألة الثانية أيضاً التي أريد الإشارة إليها، لقد قلت في طوايا حديثي كلاماً حين تحدثت عن عَظَمَةِ هذه الزيارة الكريمة، أعني الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ بأنني هنا لا أريدُ أن أوثقَ الزيارة الجامعة الكبيرة وإنما هي التي توثقني، وهنا يسألُ بعض الإخوان عن هذا المضمون عن هذا المعنى: ما هو مقصودي إنني لا أريدُ أن أوثقَ الزيارة الجامعة وإنما هي التي توثقني؟! مرادي من هذا الكلام إن الزيارة الجامعة الكبيرة:

أولاً: وردت في أوثق المصادر وقد أشرت إلى مصادرها وإلى الكتب التي نَقَلت هذه الزيارة الشريفة، ولا أريدُ أن أعيدَ الكلام، الكلام مرَّ في الحلقة الماضية، الزيارة وردت في أوثق المصادر وفي أهم المصادر الحديثية، هذا أولاً.

وثانياً: متنُ الزيارة من أقوى المتون التي وردت عن أهل بيت العصمة في البناء الأدبي وفي البناء اللغوي أو في البناء المعرفي، يعني نحن في مواجهة نص يتكامل أدبياً ولغوياً ويتكامل معرفياً، أما تكامل هذا النص أدبياً

ولغوياً فذلك راجع إلى البنية البلاغية وإلى البنية البيانية وإلى البنية المعنوية التي نُظمت ورُصِفت فيها عبارات وألفاظ هذه الزيارة، وأما البناء المعرفي للزيارة فذلك سيتضحُ من خلالِ ما سأتمكن من بيان مضامينه ومعانيه وستتجلى هذه الحقيقة من أن هذه الزيارة تشتملُ على بناءٍ عقائديٍ معرفي يندر أن نجدهُ في نصوص أخرى، ربما نمتلك نصوص قليلة إن كان في نصوص الأخبار والأحاديث أو في نصوص الزيارات نمتلك نصوصاً قليلة مماثلة لهذا النص الجامع المانع – **علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً** – هناك قولٌ بليغٌ كامل كما مرَّ الكلامُ في بيان هذا الكلام.

ومن جهةٍ ثالثة: قوة المصادر، وثاقة المصادر، وقوة المتن، قوة هذا النص، هناك أمرٌ ثالث وهو إن جميع المضامين التي وردت في هذه الزيارة الشريفة هذه المضامين وردت بخصوصها وفي بيان مضامينها ومعانيها رواياتٌ كثيرةٌ جداً، يعني نَحْنُ إذا أردنا أن نأخذَ كل عبارة وكل فقرة من فقرات هذه الزيارة فنضعها في مكان ثم نجعل هذه الفقرة عنوان وعلى أساسهِ مثلاً نذهب إلى الجوامع الحديثية التي جُمِعت فيها أحاديثُ أهل البيت لوجدنا العشرات بل المئات من النصوص تتطابق وتتفرع على هذه العناوين المُجْمَلة التي جاءت مذكورةً في الزيارة الجامعة الكبيرة، يعني يمكن أن أقول بأن العناوين والمصطلحات التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة هي بمثابة فهرست، فهرس للعناوين الموضوعية التي تحدثت عنها كلمات أهل البيت لا في مجموعة محدودة من الروايات، لا في مئة رواية أو في مئتين، هناك أعداد هائلة من النصوص، هناك ألاف من النصوص، الحديث ليس عن عشرات أو عن مئات، الحديث عن ألاف من النصوص وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كتبنا الحديثية التي جَمَعَت كلمات وأحاديث أهل البيت، وطبعاً لا تستغربوا أبداً بأن أقول وحتى في كتب المخالفين لأهل البيت، هناك الكثير من النصوص التي تأتي منسجمةً مع مضامين الزيارة الجامعة ودالة على نفسِ معانيها وفحاويها.

أنا أشرت في الحلقة الماضية إلى مصدرٍ من مصادر المخالفين لأهل البيت وهو كتاب فرائد السمطين، وإنما أشرت إلى هذا المصدر لا اهتماماً مني بما يأتي في كتب المخالفين لأهل البيت، نحن لا نعتمدُ على حديثٍ لا يأتي من طريق أهل البيت، حديثنا نأخذهُ من طريق أهل البيت ومن طريق أشياع أهل البيت من طريق أوليائهم، لكن لأن هناك الكثيرين ممن يتابعون هذا البرنامج من غير أتباع أهل البيت ولا يملكون مصدراً شيعياً يجدون فيهِ هذا النص لذلك أنا نبهت إلى هذه القضية قلت بأن هذا النص قد جاء مروياً في كتابٍ من كتب السنة وهو فرائد السمطين للمحدث الجويني الشافعي، فمن هنا قلت بأنني لا أريدُ توثيق الزيارة الجامعة، الزيارة الجامعة هي التي توثقني، إذا كانت هذه الزيارة وردت في أهم المصادر وحتى أن من السنة من رواها، وإذا كانت هذه الزيارة تمتازُ بقوة متنها من جهة اللغة والأدب ومن جهة القيمة المعرفية فضلاً عن أن الآلاف من النصوص في أحاديث أهل البيت تأتي متناسقةً ومستوسقةً ومتوافقةً لِمَا في مضامين هذه الزيارة

الشريفة، فكيف لا توثقني هذه الزيارة؟!!

الزيارة هي التي توثقني إذاً، لأنني حين لا اعتقد بمضامينها فذلك القدح لا في الزيارة سيكون القدحُ فيَّ وفي غيري إذا كان أيضاً لا يعتقدُ بمضامين هذه الزيارة، وإنَّ الاعتقاد بمضامين هذه الزيارة هو مدحٌ لمن يعتقد بها وبذلك ستكون سبباً هي للتوثيق ولا تحتاجُ إلى توثيق، أما أولئك الذين يريدون البحثَ في سندٍ رجاليٍ وهو قرينة ضعيفةٌ جداً بالقياس إلى هذه القرائن فذلك ما لا قيمة له أبداً، لأن الأمور إنما تثبت لا من جهةٍ واحدة، نحن كيف تثبت عندنا النصوص؟ تثبت عندنا النصوص من خلال القرائن ومن خلال الأدلة ومن خلال البينات ومن خلال الشواهد التي تحفُّ النص، وهذه القرائن والبينات التي تحفُّ النص قد تكونُ في السند، قد تكون في المصدر، قد تكون في الشهرة في شهرة هذا الحديث، قد تكون في قوة المتن، قد تكون في موافقة هذا المتن للمتون الصحيحة الأخرى، وقد تكون وقد تكون، هناك الكثير من القرائن التي من خلالها نستطيع أن نعرف مدى وثاقة هذا النص.

ومع كل ذلك مع كل هذه الأمور التي أشرتُ إليها وأنا هنا لستُ بصدد توثيقها لو كنتُ بصدد توثيقها لاحتجتُ في هذا المطلب إلى ساعاتٍ وساعات لأنني سأضطر إلى تطبيق هذا النص مع النصوص الأخرى ومع المصادر الأخرى وهذا يحتاجُ إلى وقتٍ طويل، ولكن لو أردنا أن نلقي نظرة تأريخية على الأجيال التي مرت من علمائنا، كل علمائنا كانوا قد تلقوا هذه الزيارة بالقبول والاعتقاد وقد شُرِحت شروحاً كثيرة هذه الزيارة الشريفة، تلقاها العلماء بالقبول وبالاعتقاد بها وبالعمل على أساسها وبزيارة الأئمة بها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أريد الإطالة أكثر من ذلك وإنما أتناول مسالةً أخرى تتعلقُ بالمقدمة الثانية.

قلتُ قبل قليل بأن الحلقة الماضية إنما هي عبارة عن مقدمة أولى تسبق الحديث في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، والحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمةٍ ثانية.

سيكون كلامي في المقدمة الثانية بعد أن بينتُ التوضيحات التي أشرتُ إليها قبل قليل سيتناول كلامي أولاً معنى الزيارة، قبل أن أدخل في نص الزيارة، ما هو المراد من الزيارة؟ لماذا نزور الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ لماذا نزور الأئمة؟ هناك جوانب كثيرة، أنا سأشير إليها، لكنني سأركز النظر إلى نقطةٍ من هذه النقاط، هناك عدة أبعاد في زيارة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

البُعد الأول من أبعاد زيارة الأئمة هو البُعدُ العقائدي، ومُرادي من البُعد العقائدي إننا حين نزور الأئمة صلوات الله عليهم إنما نجدد العهد معهم، وهذا من واجباتنا، هناك عهود ومواثيق، عهود الإمامة ومواثيق الإمامة التي أعطيناها لأئمتنا، هذي عهود ومواثيق أُخِذت في أصل الخلقة، في أصل الخلقة أُخِّذت، في أصل الوجود، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت في عالم الذر، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت في عالم الأصلاب، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت علينا بعد أن قامت علينا الحُجَج، بعد أن خرجنا إلى الدنيا، وبعد أن بلغنا

سن التكليف، هناك عهد الإمامة وعقدُ الولاية في أعناقنا، ومن الوفاءِ لهذا العقد ولهذا الميثاق هو زيارة الأئمة التي تعطي هذا المعنى هو تجديد العهد مع الأئمة، وهذا بُعدٌ عقائدي، قلت بأن الزيارة فيها عدة أبعاد، البُعد الأول البُعد العقائدي، البُعد العقائدي يشتمل على هذا المعنى على معنى تجديد العهد، على معنى توكيد الميثاق، نحن حين نزور الأئمة إن كانت هذه الزيارة من قريبٍ أو من بعيد على حدٍ سواء، أئمتنا يسمعوننا إن كنا نزورهم من قريب أو من بعيد، حين نخاطب الإمام عليه السلام: **أشهدُ أنَّكَ تَسْمَعُ كلامي وتَردُّ سلامي** – حين نخاطبه هكذا بأنك أشهد وهذه شهادة عقائدية – **أشهدُ أنَّكَ تسمعُ كلامي وتَشْهَدُ مقامي وتَردُّ سلامي** – هذا النوع من التعامل وهذا النوع من الترابط لا يحول فيما بينهُ بين الإمام وبين المأموم التضاريس الأرضية، الإمام يسمعُ كلامنا في أي مكانٍ كُنا – **أشهدُ أنَّكَ تسمعُ كلامي وتَشْهَدُ مقامي وتَردُّ سلامي** – يا ابن رسول الله، البُعد العقائدي فيه هذا المعنى الأول وهو معنى تجديد العهد معنى توكيد الميثاق.

وهُناكَ بُعدٌ آخر البُعد الآخر هو صلةُ الإمام، يجب علينا أن نَصِلَ الإمام، لماذا؟ لأن صلة الإمام هي صلة رسول الله، وإن الرحم الذي يجب أن نَصِلَه هو رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرحم الذي يجب علينا أن نصله هو رحم رسول الله، الروايات التي تقول: **إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصلهُ الله ومن قطعها قطعهُ الله** – أيُّ رحمٍ هذا؟!! هل هو رحمُ عوائلنا؟!! هذا رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد – **إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصلهُ الله ومن قطعها قطعهُ الله** – هذه المعاني التي نقرأها في زيارات أهل البيت وخصوصاً مثلاً في زيارة الصديقة الطاهرة ونحن نخاطبها نخاطبُ بنت رسول الله: **وأن من وصلك فقد وصل رسول الله وأن من قطعك فقد قطع رسول الله** – من وصلها وصل رسول الله ومن قطعها قطع رسول الله وهذا المعنى يجري فيها وفي ولدها إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فالبُعد العقائدي في الزيارة لأئمتنا أولاً فيه تجديد عهد الولاية وتوكيد ميثاق الإمامة مع عليٍّ وآل عليّ، وفيه أيضاً صلةُ عليٍّ وآل عليّ، صلة رسول الله وآل رسول الله، الرحم المعلقة بالعرش هي رحم مُحَمَّد والصلة التي نصل بها هذا الرحم هي صلة لله فمن وصل مُحَمَّداً فقد وصل الله لأنهُ من أطاع مُحَمَّداً أطاع الله، من أحَبَّ مُحَمَّداً أحبَّ الله، من عصا مُحَمَّداً عصا الله، من أبغض مُحَمَّداً أبغض الله، هذه صلةٌ لله، نحن حين نزور أئمتنا فكأنما نزور الله سبحانه وتعالى، الذي يزور الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو زائرُ الله، الروايات تبين هذا المعنى، مثل ما أن الذي يذهبُ إلى الحج، يذهبُ إلى العمرة، والذاهبُ إلى الحجِ والذاهبُ إلى العمرة هو زَورُ الله، زَورُ الله يعني هو زائرُ الله، زيارتنا لأئمتنا هي زيارةٌ لله، هي صلةٌ لله سبحانه وتعالى، هذا هو البُعد الأول البُعد العقائدي في زيارة الأئمة، البُعد العقائدي في معناه الأول في تجديد العهد وتوكيد

الميثاق، وفي معناه الثاني في صلة الرحم، هناك عندنا روايات، روايات تحدثت عن صلة الرحم بأي معنىً؟ صلة الرحم بالمعنى الاجتماعي، صلة الرحم بالمعنى النَسَبي، طبعاً هذا من المعاني الأكيدة والمهمة والتي حثت عليها الروايات، وعندنا في الروايات الشريفة التأكيد الشديد على صلة الرحم النسبي، صلة الرحم الاجتماعي، صلة الرحم الإنساني، لكن صلة الرحم بالمعنى الأصلي بالمعنى الأصيل وبالمعنى الأول هي صلةُ الرحم الإلهي صلةُ رحم مُحَمَّد وآل محَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإنَّ من قطع رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد لن يدخل إلى الجنة، وهذه الروايات التي تقول بأن قاطع الرحم لن يشم رائحة الجنة أيُّ رحمٍ؟ رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، أما قاطع الرحم الإنساني، قاطع الرحم الاجتماعي يمكن أن يدخل الجنة إذا ما رضيَ عنهُ أرحامهُ في يوم القيامة، لكن الذي يقطعُ رحم آل محَمَّد لا يمكن أن يدخل الجنة لأن الروايات صريحة واضحة في أن الجنة لن يدخل فيها مبغضٌ لمحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

الروايات واضحة صريحة لَمَّا يتحدث إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن أبواب الجنان فيقول: **بأن للجنة ثمانية أبواب، قال بابٌ للأنبياء والصديقين، وبابٌ للشهداء والصالحين، وخمسة أبوابٍ لشيعتنا، والباب الثامن لمن قال: لا آله إلا الله وليس في قلبهِ ذرة من بغضنا أهل البيت** – إذاً هناك شيء يمنع من الدخول إلى الجنان وهو بغض مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والباب الثامن لمن قال لا آله إلا الله وليس في قلبه ذرة من بغضنا أهل البيت، إذاً المانع الذي يحولُ فيما بين الناس وبين الجنان يوم القيامة هو بغضُ أهل البيت، ومن هنا قلتُ قبل قليل بأن قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والمراد من قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الذي أعرضَ عن العترة، وليس المراد هنا من قطيعة الرحم قطيعة الرحم النسبية، الحديث عن رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ليس كل من ينتسب بنسبة الرحم إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وإن كان هذا الأمر أيضاً صلة أرحام النبي النسبيين أيضاً من الأمور التي أكدت عليها الروايات، ولا أريد الحديث عن هذه القضية، لكن الحديث عن رحم مُحَمَّدٍ المعلقة بالعرش الحديث عن الكتاب والعترة، حينما نريد أن نصل رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد أن نصل الكتاب والعترة، رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد هو دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ودينُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو الكتاب والعترة، والحديث عن صلة رحم مُحَمَّد الحديث عن صلة الكتاب والعترة، على أي حالٍ لا أريد التفريع كثيراً في هذه القضية لكنني قلت بأن للزيارة مجموعة من الأبعاد منها البُعد العقائدي وتحدثت عنه.

ومنها أيضاً البُعد العبادي فالزيارة عبادةٌ من العبادات وقُربة من القربات يُتقرَّب بها إلى الله، الزيارة عبادة يترتب عليها الثوابُ العظيم والأجر الجزيل وليس المقام هنا للحديثِ عن الثواب العظيم وعن الأجر الجزيل الذي يترتبُ على الزيارات، فذلك بابٌ واسعٌ لا أريدُ الدخول إليه في هذه الحلقة، البُعد العبادي، الزيارة عبادة والعبادة أمرٌ يترتب عليه الثواب والأجر والزيارة من العبادات ومن الأعمال التي يترتب عليها ثوابٌ عظيمٌ وأجرٌ جزيلٌ لا يترتب على الكثير من العبادات، ولربما، نص واحد فقط أشير إليه، نص واحد جاء في

كامل الزيارات هذا النص يتحدث عن زيارة الحسين في يوم عرفة، ماذا يقول هذا النص؟ روايات أهل البيت ماذا تقول؟ ألا تقول بأن الله سبحانه وتعالى ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في عرفات، قبل أن ينظر إلى حجاج بيتهِ، وهذا الكلام عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن الله ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في موقف عرفات، وأنا قلت لا أريد الدخول في هذا الباب في باب الأحاديث التي تخبرنا عن عظمة الثواب وعن عظمة الأجر الجزيل الذي يترتب على الزيارة بعنوان أنها عبادة من العبادات، هذا أولاً.

والأمر الثاني أيضاً الذي يدخل في البُعد العبادي للزيارة، الأمر الثاني الذي يدخل في البُعد العبادي أن الزيارة محطةٌ للتفكر وللاعتبار، والتفكر والاعتبار من أجَلِّ العبادات، أصلاً الروايات تقول ليس العبادة بكثرة الصلاة والصيام وإنما العبادة بكثرة التفكر في أمر الله، وهل هناك توجد محطة وساحة حقيقية أفضل من ساحة الزيارة للتفكر والاعتبار؟!! وهذا الجانب المهم في الجانب العبادي للزيارة، فالجانب العبادي يشتمل على هذين الأمرين: الأمر الأول الزيارة هي بنفسها عبادة من العبادات يترتب عليها الثوابُ والأجر وهي محطةٌ من محطات حياة الإنسان، محطة للتفكير وللاعتبار، محطة لتجديد التوبة، محطة لشيءٍ من المحاسبة، الإنسان حينما يكون في محضر أهل البيت فهذه فرصة، هذه فرصة أن يقرأ القرآن، ربما في بيتهِ لا يجد فرصةً لقراءة القرآن، هذه فرصة يقرأ فيها الدعاء، هذه فرصة يؤدي فيها الصلوات المستحبة، هذه فرصة يقرأ فيها نصوص الزيارات ويتأمل المعاني والمضامين الموجودة فيها، هذه فرصة يمكن بسببها أن تقع عينهُ على كتاب في مكتبةٍ من المكتبات التي تحوطُ الحضرات الشريفة، هذه فرصة يمكن أن يستمع إلى موعظة أو أن يلتقي بإنسانٍ يكونُ سبباً إلى أن يفتح له أبواباً كبيرة وأبواباً واسعة عريضة في القرب وفي التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، الزيارة فيها بُعدٌ عباديٌ واسع من جهة أنها عبادة ومن جهة أنها محطةٌ للتفكر والاعتبار والاتعاظ.

وهناك بُعدٌ ثالث في الزيارة أيضاً البُعد السياسي، هناك بُعدٌ سياسي والمراد من البُعد السياسي في حدهِ العقائدي ليس البُعد السياسي السياسة التي هي بمعنى المكر والخداع والصراع على المناصب وجمع الأموال وقهر الناس وغلبة البشر ليس المراد المعنى السياسي هو هذا، وإنما المراد من البُعد السياسي هو نُصرة الحق والوقوف بوجه الباطل ونُصرة العدل والوقوف بوجه الظلم، البُعد السياسي إنَّ الزيارة تمثل موقفاً سياسياً وهذا الأمر واضح عبر التأريخ، زيارة الأئمة تعكسُ الموقف السياسي لأتباع أهل البيت إن كان بنحوٍ فردي أو إن كان بنحوٍ عام للمجتمع الشيعي، فالزيارة فيها البُعد السياسي وهو البُعد الجهادي، وهو قول الحق، وهو عمل الحق، في بعض الأحيان الإنسان ينصر الحق بقولهِ، وفي بعض الأحيان ينصر الحق بعملهِ من دون أن يقول، الذهابُ إلى زيارة الأئمة هو نُصرةٌ عمليةٌ للأئمة ونُصرة الأئمة هي نصرة الحق، هي نصرة الخلافة

الربانية، هي نصرة السياسة الإلهية التي يريد الله سبحانه وتعالى لهذه السياسة أن تُطَبَّق على وجه الأرض، فهناك الموقفُ السياسي للمؤمنين بشكلٍ خاص لأفراد المؤمنين، وكذلك لعامة شيعة أهل البيت للأُمَّة الشيعية، وأيضاً يدخلُ في الموقف السياسي أمرٌ آخر وهو إحياءُ أمر أهل البيت وهذا أيضاً يمكن أن نَعُدَّهُ من فروع الأمر السياسي فهو مرتبطٌ في عقيدة الجهاد في طريق أهل البيت، إحياءُ أمر أهل البيت، وإحياءُ أمر أهل البيت يمكن أن يقوم بهِ الفرد لوحدهِ لكن حينما تكون الزيارات جماهيرية فهذا البُعد الجماهيري يُعطي لمعنى إحياء الأمر معنىً آخر ويعطيه عمقاً وبُعداً آخر، في الزيارات المليونية مثلاً لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هناك إحياءٌ لأمرهم بشكلٍ جماهيري، بشكلٍ واسع، وهذا يؤكد معنى البُعد السياسي والبُعد الجهادي في زيارة أهل البيت.

وهناك بُعدٌ رابع وهو البُعد الاجتماعي، التلاقي بين المؤمنين، أن يتعارف المؤمنون فيما بينهم، أن يعرف المؤمنون مشاكل بعضهم البعض الآخر، أيضاً ما يترتب على ذلك من المنافع التي ينتفع منها المؤمنون ينتفع منها شيعة أهل البيت إن كان على مستوى السياحة، إن كان على مستوى الإعلام، إن كان على المستوى التجاري والاقتصادي، إن كان على مستوياتٍ مختلفة ترتبط بالحياة الاجتماعية للناس، فهناك بُعدٌ اجتماعيٌ واضح في زيارات أهل البيت، هناك البُعد العقائدي، وهناك البُعد العبادي، وهناك البُعد السياسي، وهناك البُعد الاجتماعي، وهذه الأبعاد كلها إنما هي في سطح الزيارة الشريفة، الزيارة فيها معنى أعمق من كل هذه المعاني، هذه المعاني التي أشرتُ إليها إن كان في البُعد العقائدي أو كان في البُعد العبادي أو إن كان في البُعد السياسي أو إن كان في البُعد الاجتماعي وربما هناك أيضاً أبعاد أخرى يمكن الإشارة إليها كل هذه المضامين وكل هذه المعاني إنما هي في أفق واحد في سطحٍ واحد، هناك ما هو أعمق من هذه المعاني وما هو أبعد أبعدُ غوراً من كل هذه المعاني.

زيارة أهل البيت إنما هي صورةٌ ومثالٌ لحقيقةٍ أعمق من كل هذه المعاني، هذه الحقيقة الأعمق، هذا المثال الأعمق، وهذا التجلي الواضح إنما هو العودةُ إلى الوطن، ما جاء في الروايات الشريفة – **حُبُّ الوطَنِ من الإيمان** – حبُّ الوطن من الإيمان لا أريد الحديث عن المعنى الدنيوي الظاهري وهذا المعنى صحيحٌ أيضاً، لكن في كلمات أهل البيت هناك ما هو في أفق العبارة وهناك ما هو في أفق الإشارة وهناك ما هو في أفق اللطائف وهناك ما هو في أفق الحقائق، كلام أهل البيت فيه معنىً في أفق العبارات وهذا الذي أشرتُ إليه قبل قليل، ما بينتهُ في الأبعاد المذكورة قبل قليل، العقائدي، العبادي، السياسي، الاجتماعي، هذه المعاني في أفق العبارة، أما هناك أفق وراء أفق العبارة وهو أفق الإشارة، حُبُّ الوطن من الإيمان هناك إشارة وهناك تلويحٌ إلى هذه الحقيقة، إنَّ الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي صدرت منها الكائنات، الحقيقة التي صدرت منها الكائنات هي الحقيقة المُحَمَّدية، هكذا أخبرنا نبينا وأهل البيت بأن الله خلق نوراً أول ما خلق وهو

نور نبينا صلى الله عليه وآله ومن هذا النور اشتقَّ جميع الأنوار واشتقَّ جميع الكائنات، فكل الكائنات مردها إلى النور الأول إلى النور المُحَمَّدي وذلك هو الوطن، الوطن الجهةُ التي تتوطن فيها الحقائق والجهة التي تولدت منها الحقائق، ألا يُقال الآن في اللغة وفي العُرف وحتى في الأحكام الشرعية بأن الوطن هو المكان الذي يكونُ مسقط رأس الإنسان، المكان الذي يكونُ مسقط رأس الإنسان حيثُ ولد وحيثُ عاش وحيث نشأ وترعرع هو هذا الوطن، وذلك في اللغةِ وفي العُرف وحتى في الشريعة، الوطنُ في المعنى الحقيقي هو الجهة التي تولد منها الوجود، حقيقتنا لا في أبداننا ولا في أرواحنا، حقيقتنا في وجودنا، الإنسان جَسَدٌ وروح، بدنٌ وروح، ولكن هذا البدن من دون الوجود هل يتحقق؟ وهذه الروح من دون الوجود هل تتحقق؟

حقيقة الإنسان في حقيقة وجودهِ، إنما كانت الروح لأن فيض الوجود تجلى فيها، وإنما كان البدن لأن فيض الوجود قد تجلى فيها، وفيض الوجود إنما تأتى من النور الأول، الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي ولدنا منها وجئنا منها، الحقيقة التي ولد منها وجودنا وتلك هي حقيقة النور المُحَمَّدي، المخلوق الأول، الصادر الأول، عَبِّر ما شئت، العقل الأول، العرش الأول، قل ما شئت من العبائر والكلمات، كلها تشير إلى هذا المعنى إلى معنى الكلمة الأولى التي تكلم الله بها وبعد هذه الكلمة صدرت كل الكلمات – **اللَّهُمَّ إنّي أسألك من كلَمَاتِكَ بأتَمِّها وكُلُّ كَلِمَاتِك تامة، اللَّهُمَّ إنّي أسألك بكلماتكَ كُلِّها** – الكلمة الأتم النور الأصلي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في الأفق الأعلى لا في الأفق الأرضي، مُحَمَّد بن عبد الله في الأفق الأرضي إنما هو تجلي لتلكم الحقيقة، نحن حين نتحدث عن أن نور نبينا هو مصدر الكائنات، الله سبحانه وتعالى جعل فيه القدرة على إيجاد الكائنات نحن لا نتحدث عن مُحَمَّد بن عبد الله الذي ولد في عام كذا من أُمٍّ أسمها كذا ومن والد أسمهُ كذا، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله الذي كان في المدينة والذي دُفن في المدينة إنما هو تجلٍ هو التجلي الأعظم لتلكم الحقيقة المُحَمَّدية، الكائنات الموجودات حينما أشرقت أشرقت من تلكم الحقيقة الأولى التي تجلى اسمها الأعظم في العالم الأرضي وهو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما تشهد بهِ الروايات الكثيرة الكثيرة وسنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى في حلقاتنا القادمة.

الزيارة هي عودةٌ لمن؟ عودةٌ للوطن، عودةٌ للوطن الذي حال فيما بيننا وبينه غواسق عالم الطبيعة، نحن هنا في هذا العالم الطبيعي أليس هذا الحديث تحفظونهُ – **بأن الدنيا سجنُ المؤمن** – من جملة الإشارات في هذا الحديث له مضامين ومعاني كثيرة، لكن من جملة الإشارات بأن الدنيا سجنُ المؤمن هي السجن الذي يحول فيما بينهُ وبين العودة إلى وطنهِ، فيما بينهُ وبين العودة إلى بيتهِ الأصلي، ولذلك الرحم الأصلي كما بينتُ قبل قليل هو رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد، الوطن الأصلي مُحَمَّدٌ وآل محَمَّد ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ هذه الملاقاة أين تكون؟ الملاقاة بالعودة إلى الحقيقة الأولى إلى الحقيقة المُحَمَّدية، الله

سبحانه وتعالى خلق النور الأول ومن هذا النور شعت أنوار الوجود شعت الكائنات ونحن جئنا من ذلك النور، هذه حقيقة الخلق تحدثت عنها كلمات النبي الأعظم وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما زيارتنا إلا مثالٌ إلا صورة، صورة للعودة إلى الوطن، كي نخرج من الغربة، نحن في عالم غربة، قبل قليل تحدثتُ عن الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية، هذه العوالم الغربية عوالم الغربة عن العالم الأصلي عن الوطن الأصلي، وحُبُّ الوطن من الإيمان، حُبُّ الوطن من الإيمان حب الرجوع إلى ذلك الأصل من الإيمان، بل هو الإيمان بكل معناه، نحن حين نزور أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً من جملة آداب الزيارة الاستئذان، في نفس مفاتيح الجنان في باب الزيارات قبل أن نشرع في زيارة النبي هناك آداب الزيارة من جملة آداب الزيارة الاستئذان، أورد المُحَدِّث القُمّي استئذان في غاية العُمق، أنا لا أريد أن أطيل الوقوف عندهُ كثيراً لكنني أشير إلى بعضٍ مما ورد فيه يتناسب مع ما ذكرتهُ، مما جاء في هذا الاستئذان حين نقف على أبواب الحضرات القدسية لنبينا ولأئمتنا كيف نستأذن؟

**اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهَّرتَها وعَقْوةٌ شَرَّفتَها ومَعَالِمُ زَكَّيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد.** هُم أدلة التوحيد وهُم أشباح العرش المجيد في وجودهم الأرضي أما في وجودهم العلوي فإن العرش خُلِقَ من نورهم وستأتينا أحاديث النبي الكثيرة جداً، وهذه الأحاديث منها ما هو موجودٌ في كتب المخالفين ليس في كتبنا فقط، هناك أحاديث كثيرة أيضاً موجودة في كتب المخالفين تشهد بهذه الحقائق، بأن العرش وما دون العرش خُلِقَ من نورهم، فهم في منزلةٍ وفي مرتبةٍ فوق الفوق، وما العرش وما الكرسي وما الحجُبُ إلا من مشارق أنوار تلكم الحقيقة القادسة الأولى، الحقيقة المُحَمَّدية – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهَّرتها وعَقْوةٌ شَرَّفتَها ومَعَالِم زَكَّيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** – ليس لحفظ النظام الدنيوي لتنظيم أمور الحياة السياسية العادية وإنما لنظام الخلق – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة ثم مَننت عليهم باستنابة أنبياءك لحفظ شرائعك وأحكامك فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكَلَّفين** – هذا النص يحتاجُ إلى الوقوف عليه كثيراً لكنني لا أجدُ وقتاً لبيان هذا المضمون فقط أشير إليه وعلى إخواني وأخواتي التبَصُّر بهذا المضمون، على أبنائي وبناتي من محبي أهل البيت أن يتبَصّروا بهذه العبارة: **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكَلَّفين** – هذه الرئاسة مودعة، هذه الرئاسة هي الإمامة، هذه هي الإمامة الكونية والإمامة الوجودية أما الإمامة الشرعية هذه إمامة متفرعة عن تلكم الإمامة العظمى، هذه الإمامة الوجودية التي وضعت في فِطَر المُكَلَّفين – **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المُكَلَّفين** – إلى أن تقول وأنت تستأذن الأئمة، الاستئذان

طويل ولا أجدُ مجالاً لقراءتهِ كاملاً، إلى أن تقول:

**الحمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامهُ لو كان حاضِراً في المكان** – هذي أيضاً العبارة تحتاج إلى شرح – **الحمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامهُ لو كان حاضِراً في المكان** – إلى أن نقول ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى: **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين** – لندعو بهذا الدعاء من كل قلوبنا، لندعو بهذا الدعاء ونحن نتوسلُ إلى إمام زماننا أن يُطَهِّر قلوبنا بنظرةٍ منه لحظة ما ندعو بهذا الدعاء – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم** – إلهي بدماء نحر الحسين – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم ونفوسنا تهوي النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم** – إلى أن يقول الدعاء: **اللَّهُمَّ فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نقر بما يجب لهم من الأوصاف** – إلى آخر الدعاء الشريف، هؤلاء هم أئمتنا، إلهي بحقِّ الحسين فاجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم واكتبنا في زوارهم وسجلنا في ديوان زوار الحسين من قريبٍ ومن بعيد بحق الحسين.

هذه مقاطع من الاستئذان الذي أوردهُ الشيخ القمي يمكنكم أن تراجعوه وتتبصروا في عبائرهِ وفي جُمَلهِ وفي كلماتهِ الجميلة، وفي ذلك إشاراتٌ إلى هذا المضمون الذي تحدثتُ عنه وهو أن الزيارة حنينٌ إلى وطن، عودةٌ إلى وطن، الوطن الحقيقي، الزيارة إنما هي مثالٌ إنما هي رمزٌ للعودة إلى الوطن الحقيقي، الوطن الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الدين الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الروايات هكذا تقول: الوالد الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الأم الحقيقية مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الأخ الشقيق، الأنيس الرفيق، الصديق الصدوق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد الروايات هكذا أخبرتنا، القرآن الناطق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الحقُّ بكل معانيه هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ولذلك يتجلى هذا المعنى في زيارتنا لأهل البيت هي العودةُ إلى الوطن، وكلما كان الشوقُ إلى الوطن أكثر كان معنى الزيارة أعمق، ولذلك المنافع التي ينتفعها الزائرون إن كان في أفق الثواب والأجر وإن كان في أفق المنافع المعنوية والمنافع الروحانية والمنافع الملكوتية التي ينالها الزائرون تكون مختلفة باختلاف النوايا، باختلاف المعارف، باختلاف العقول، باختلاف الحنين إلى الوطن، كم هو الحنين إلى الوطن الحقيقي؟

حينئذٍ تكون المنفعة ويكون الثواب ويكون الأجر، لأننا حينما نذهبُ إلى أوطاننا حين يعود المرء إلى وطنهِ بعد الغربة ماذا سيجد؟

سيجدُ أهلاً وأحباباً، سيجد احتراماً، سيجد شوقاً، وسيجد دموع لقاء، كلُّ ذلك يجعلهُ يعيش في حالة

هذه الحالة تسمو فيها روحهُ، هذا في الوطن المادي في الوطن العادي للحياة البشرية، أما الوطن الحقيقي فهذا ما تذكرهُ لنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا تقول الزيارة الجامعة الكبيرة وهي تحدثنا عن بعض الجوانب التي سنجدها حين نعودُ إلى وطننا الحقيقي – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيْكُمْ** – نحن حين نزورهم عنوان الزيارة هو الصلاة عليهم والسلام عليهم – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا** – عملية تكوينية هناك تغييرٌ تكويني – **طيباً لِخَلْقِنا** – للخلق – **وَطَهارَةً لأنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – يعني الكفارة للذنوب هي آخر مرتبة، المرتبة الأعلى طيباً لخلقنا، طيباً لأصل وجودنا – **طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لأنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – هذا ما سنجدهُ حين نعودُ إلى الوطن، إلى الوطن الحقيقي، إلى مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وربما أيضاً ستتضح لنا معانٍ أخرى من معاني الزيارة في طوايا شرحنا لما سنقرأهُ من نص الزيارة الجامعة الكبيرة.

لا زلتُ في المقدمة الثانية لكنني سأبدأ بقراءة النص لأن للنص مقدمة فالسائل سأل الإمام: **علمني يا ابن رسول الله قولاً أقولهُ بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم، فقال عليه السلام: إذا صرت إلى الباب** – إلى باب الحضرة الشريفة – **فقف وأشهد الشهادتين** – وسنأتي على شرح الشهادتين – **فقف وأشهد الشهادتين** – فلا أقف هنا عند شرح الشهادتين لأن الشهادتين بل الشهادات الثلاث سيأتي ذكرها في ضمن نص الزيارة – **فاشهد الشهادتين** – أي قل: أشهد أن لا آله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محَمَّداً صلى الله عليه وآله عبدهُ ورسوله – **وأنت على غسل فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليكَ السكينة والوقار وقارب بين خُطاك** – قارب بين خُطاك أن تكون خطواتك ليست عريضة هذا المراد قارب بين خُطاك – **فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليكَ السكينة والوقار وقارب بين خُطاك، ثم قف وكبر الله عزَّ وجل ثلاثين مرة، ثم أدنو من القبر وكَبِّر الله أربعين مرة تمام مئة تكبيرة، ثم قُل: اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** ... – إلى آخر الزيارة.

هذا الكلام سيكون في ضمن حديثي في المقدمة الثانية، لا زال الحديث في المقدمة الثانية، لأنني حين أقصدُ الزيارة الجامعة أو حين أتحدث عن نص الزيارة الجامعة فإنما أعني ابتداءً من قولهِ عليه السلام: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** ... – إلى آخر النص، أما هذه المُقدمات ذكرُ الشهادتين والغُسل وهذه التكبيرات المئة وكيفية الدخول هذه مقدمة للزيارة، قلتُ بأن الحديث عن الشهادتين سيأتي في ضمن نص الزيارة وكذلك لا أريد أن أقف على الإشارات أو المعاني التي يمكن أن نذكرها عند ذكرنا للطهارة للوضوء وللغسل، وهذه معاني يمكن أن تأخذ منا وقتاً لا أجد مجالاً الآن للحديث عنها، أنا أريد أن أختصر الكلام

حتى نشرع قريباً في النص الأصلي للزيارة الجامعة الكبيرة، لكن هذه المسألة بحاجةٍ إلى بيان وهو أنك تقف فتكبر ثلاثين مرة، ثم تخطو بخطوات وتكبر ثلاثين مرة، ثم تدنو من القبر وتكبر أربعين مرة فهذه مئةٌ كاملة، أقف هنا لبيان معنى التكبير ولبيان الحكمةِ من هذه العبادة أو من هذا الذكر أو من هذا الطقس أو من هذا المنسك، تكبر ثلاثين ثم تكبر ثلاثين ثم تكبر أربعين وأنت في خلال مشيتك من الباب إلى القبر الشريف إلى قبر المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أولاً ما المراد من التكبير؟ حينما نقول الله أكبر ما المراد من قولنا الله أكبر؟ لا أريد أن أطيلَ في الكلام ولا أريد أن أدخل في التفاصيل اللغوية وما قالهُ شُراحُ هذه الألفاظ.

بنحوٍ مستقيمٍ أذهبُ إلى كتاب الكافي، وهذا هو الجزءُ الأول من كتاب الكافي الشريف، **الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال رجلٌ عندهُ الله أكبر** – رجل كان جالساً عند الإمام الصادق الرواية يرويها الشيخ الكُليني بسندهِ عن ابن محبوب، على أي حالٍ، كان هناك رجل جالس عند الإمام الصادق فهذا الرجل قال: الله أكبر، الإمام سألهُ – **فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء** – الرجل قال الله أكبر، الإمام سأله: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، ماذا قال له الإمام؟ – **فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددتهُ!!** – يعني جعلت لله حداً، هناك رواية ثانية الإمام ماذا قال لهُ؟ – **وكان ثَمَّ شيءٌ فيكون أكبر منه؟** – هل هناك شيء حتى تقول بأن الله أكبر من كل شيء؟! كان الله ولم يكن معهُ شيء، إذاً ماذا نقول؟ – **فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قُل الله أكبر من أن يوصف.**

ولا اعتقد بأنني وكذلك المشاهدون يجدون بياناً في معنى الله أكبر أجمل من هذا البيان، هل كان مع الله شيء حتى نقول الله أكبر من كل شيء؟! كيف نقيس الله مع الأشياء!! الأشياء لا حقيقة لها، الحقيقة لله، وكل شيءٍ ما خلا الله باطلُ، الحقُّ والحقيقة الله سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ ظِلالهُ، وكل شيءٍ آياتهُ، وكل شيءٍ أسمائهُ، وكل شيءٍ كلماتهُ، وكل شيءٍ عبيدهُ، كل شيءٍ راجعٌ إليه – **إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – إنا لله هذه اللام، هذه اللام لام الملك، إنا لله نحن مِلكٌ له فلا يُقاسُ الله سبحانه وتعالى بخلقهِ، هذه العبارة الدقيقة التي قالها إمامنا الصادق – **الله أكبر من أن يوصف** – فنحن حين نُكَبِّرُ الله سبحانه وتعالى هنا الله أكبر ثلاثين مرة، ثلاثين ثم بعد ذلك نكبر الله أربعين مرة قبل أن ندنوا من القبر الشريف ونقرأ الزيارة:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إذاً المراد الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف، حين أقول الله أكبر من أن يوصف يعني أني قد قَفَلتُ عقلي وقَفَلتُ قلبي وقفلتُ وجداني وقَفَلتُ كل قدرةٍ من قدراتي على التفكير وعلى المعرفة وعلى العلم من أن أدركهُ، وإنما غاية المعرفة هو عجزنا عن معرفته، لذلك النصوص الشريفة ماذا تقول؟ أنكم لا تفكروا في ذاتهِ!! أين نُفكر؟ فكروا في صفاتهِ في أفعالهِ، التفكير لا يكون في ذات الله،

كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً، هكذا قال أئمتنا: كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً، لا يمكن لهذه العقول القاصرة أن تحيط بالله سبحانه وتعالى، نعم هذه العقول تستدلُ عليه، نعم هذه العقول تستشرفُ نورهُ، نعم هذه العقول تستشرف كمالهُ، أما أنها هل يمكن أن تحيط به!! لا يمكن ذلك – كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً – الله أكبر من أن يوصف وليس الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى نقول بأن الله أكبر منه، وإنما الله أكبر من أن يوصف، هذا المعنى الإجمالي حين نقول الله أكبر، فحين نكبر الباري ونحن داخلون نستحضر هذا المعنى: الله أكبر من أن يوصف، يَجِلُّ أن تُحيط به العقول، تقف عندهُ العقول عاجزة، وتقف عندهُ القلوب عاجزة، وتقف عندهُ كل القدرات وكل الإدراكات عاجزة، كل القابليات على العلم وعلى المعرفة وعلى الخيال وعلى التصور إنها تقفُ عاجزة، يستحيلُ على هذه العقول أن تتقدم خطوةً بهذا الاتجاه، ليكن هذا النص دائماً أمامنا الله أكبر من أن يوصف، عقولنا أصغر، أرواحنا أصغر من أن تدرك وصف الله الحقيقي، الله أكبر من أن يوصف، هذا معنى التكبير، لماذا التكبير؟ لماذا نكبر ونحن داخلون؟ نكبر ونحن داخلون لأشي شيءٍ؟

نكبر ونحن داخلون أولاً، أولاً لرفع الحجُب، وثانياً إذا ما ارتفعت الحجُب فإن ذلك يقربنا إلى أهل البيت، هناك الكثير من الحُجُب أمامنا، وهذا التكبير إنما فيه إشارة إلى معنىً عميق، هذا المعنى العميق جاء في روايات أهل بيت العصمة وهذا كتابُ وسائل الشيعة بين يدي: هذه الرواية يرويها هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهذا هو الجزءُ الرابعُ من وسائل الشيعة، ماذا تقول هذه الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر؟

**أن النبي صلى الله عليه وآله لَمَّا أُسريَ به إلى السماء قطع سبع حُجُب فَكَبَّرَ عند كل حجابٍ تكبيرة فأوصلهُ الله عزَّ وجل بذلك إلى منتهى الكرامة** – هذه التكبيرات السبع التي كبرها النبي عند كل حجاب إلى أن تقول الرواية: فأوصلهُ الله عزَّ وجل، بعد أن عبر الحجُب السبعة – **فأوصلهُ الله عزَّ وجل بذلك إلى منتهى الكرامة** – منتهى الكرامة التي لا نعرف معناها، منتهى الكرامة لا يعرفها إلا الله ورسوله وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنها منزلةٌ خاصة بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

هناك رواية ثانية عن إمامنا الكاظم أيضاً يرويها هشام بن الحكم، **هشام يسأل الإمام قلتُ له: لأي علةٍ صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيراتٍ أفضل؟** – الافتتاح يعني تكبيرة الإحرام، التكبيرة الواجبة هي واحدة ولكن يُستحب للإنسان إذا أراد أن يعمل بالتكبيرات المتعددة أن يأتي بسبع تكبيرات ثم يدخل في الصلاة، يعني هذه تكبيرات الإحرام، مقصود من تكبيرات الافتتاح هي تكبيرات الإحرام السبعة، وهي مستحبة، التكبير الواجب مرة واحدة – **قلتُ له** – هشام يقول يسأل الإمام الكاظم – **لأي علةٍ صار**

**التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات أفضل؟ الإمام صلوات الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً** – الحُجُب هذه بعد السماوات، الحُجُب هذه بعد العرش – **يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً فلمَّا أَسْرَى بالنبي صلى الله عليه وآله، أو فلمَّا أُسْريَ بالنبي صلى الله عليه وآله فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى رُفِعَ لهُ حجاب، أو رَفَع لهُ حجاب، رَفَعَ لهُ حجاباً من حُجُبهِ فَكَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقول الكلمات التي تُقال في الافتتاح** – يعني الدعاء المستحب ذكرهُ أثناء افتتاح الصلاة – **فلما رفع له الثاني كَبَّر فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حُجُب فَكَبَّر سبع تكبيرات فلذلك العلةُ يُكَبّر للافتتاح في الصلاة سبع تكبيرات** – فيستحَبُّ في الصلوات أن يفتتح المُصلي بسبع تكبيرات، السرُّ ما هو؟

كما يقول إمامنا الكاظم، طبعاً هناك دلالات ومعانٍ أخرى لكننا لا نستطيع أن نتطرق إلى كل المضامين وإنما بحسب ما يسنح به المقام، الرواية هنا تتحدث أن السبب في تشريع التكبيرات السبع في افتتاح الصلاة يعني التكبيرات المستحبة عند الإحرام عندما نُحرم للصلاة عندما نفتتح الصلاة بتكبير الإحرام إنما كان مثالاً وكان صورةً لما كان في عالم الحُجُب حينما أُسري به وحينما عُرِجَ بهِ وحينما وصل إلى مقامات الحُجُب فكان يُكَبّر فيرتفع الحجاب إلى أن كَبَّر سبعاً فارتفعت الحُجُب بتمامها وكمالها فوصل إلى منتهى الكرامة، ووصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه مخلوقٌ غيرهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه ممكنٌ من الممكنات موجودٌ من عالم الإمكان غيرهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت هذه التكبيرات صورة لتلكم الحقيقة أو لذلك المشهد الإلهي، فالتكبيرات إنما جيء بها لرفع الحجُب والتكبيرات ليست فقط هي هذه التكبيرات السبع هي المستحبة وإنما إذا أردنا أن نحسب التكبيرات الموجودة في الصلوات اليومية تصل إلى خمسة وتسعين تكبيرة، وهناك باب كامل موجود في وسائل الشيعة وفي غير وسائل الشيعة، الحديث فيها عن استحباب خمسة وتسعين تكبيرة في الصلوات الخمس ابتداءً من تكبيرات الإحرام وانتهاءً بالتسليم انتهاءً بالصلاة المفروضة المعروفة.

على أي حال فهنا نحن نقفُ فنُكَبّر ثلاثين ثم نكبر ثلاثين ثم نكبر أربعين، هذه التكبيرات إنما هي لرفع الحُجُب، أيّة حُجُب؟ نحن الآن هنا عندنا مئة تكبيرة، لماذا هذا العدد؟ لماذا نكبر ثلاثين ثم ثلاثين ثم نكبر أربعين، لماذا هذه الأعداد؟ قطعاً هناك دلالات، قطعاً هناك إشارات، هناك رموز في هذه الأعداد وإلا لَمَا ذُكِرت ولَمَا رُسمت بهذا الشكل، نحن هنا حينما نكبر ثلاثين هذا التكبير بهذا المعنى الذي أشرتُ إليه وهو أن الله أكبر من أن يوصف وأن التكبير فيه رمزيةٌ لرفع الحجُب، أنا لا أريد أن أدخل فيما يذكرهُ علماء

السير والسلوك وعلماء تهذيب النفس وعلماء الأخلاق من أن المراتب للنفس البشرية تبلغ إلى مئة مرتبة وأمام كل مرتبة حجاب، ويمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً لكنني لا أريد التوغل في هذه المطالب، علماء السير والسلوك يقولون بأن النفس البشرية لها مئة مرتبة وأمام كل مرتبة إذا أرادت أن تترقى وأن تصل إلى كمالها عليها أن تترقى إلى مئة مرقاة، إلى مئة مرتبة، وذكروها هذه المراتب والمراقي وتحدثوا عن كيفية الوصول إليها وأنا لا أريد الخوض في هذا المطلب، وأمام كل مرتبة هناك حجاب فقد يُقال بأن الإشارة إلى هذه المعاني أو إلى هذه المضامين ويمكن أن يكون ذلك، يمكن أن يكون ذلك ولكن تبقى هذه الكلمات إنما هي في طور الاحتمال وفي طور الظن، ولا أريد أيضاً أن أشير إلى مضامين أخرى أو معانٍ أخرى تحدثت عن أصلِ خلقة الإنسان وكيف خُلِق وأنهُ مَرَّ بمراحل لو جُمِعت هذه المراحل بحسب الروايات لبلغت هذه الأعداد التي أشار إليها نص الزيارة، ثلاثين، ثلاثين ثم بعد ذلك أربعين.

ولكن من خلال الروايات الشريفة ولا أقول بأننا نملك نصوصاً تتحدثُ عن هذه الأسرار بشكلٍ خاص وإنما من خلال المعاني المُجملة التي يمكن أن نستفيدها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الكلام هنا في التوحيد الأفعالي وفي التوحيد الصفاتي وفي التوحيد الذاتي، يعني هنا حينما نحن نكبر الثلاثين، حينما نصل إلى الحضرة الشريفة ونقف على الباب وبعد ذلك نبدأ بهذا الذكر هذه الثلاثين الأولى هذا المقطع، هذا المقطع من منسك الزيارة إنما هو يريد الإشارة إلى التوحيد الأفعالي، والمقطع الثاني إلى التوحيد الصفاتي، والأفعال إنما هي مظاهر الصفات، ثم نصل إلى الأربعين وهو الرقم الأكمل، وهناك الحديث عن التوحيد الذاتي، فهنا توحيد أفعالي وتوحيد صفاتي وتوحيد ذاتي وبعد التوحيد الذاتي سيكون الكلام في زيارة الأئمة هو التوحيد العبادي، نحن لا نستطيع أن نوحد الله سبحانه وتعالى إلا بتوحيده بهذه المراتب، التوحيد الأفعالي، التوحيد الصفاتي، التوحيد الذاتي، وبعد ذلك يأتي التوحيد العبادي، لا أريد الآن الدخول في تفاصيل هذه المضامين لأننا سنتحدثُ عن التوحيد ونتحدث عن هذه المضامين عن مضمون التوحيد الأفعالي وعن مضمون التوحيد الصفاتي وعن مضمون التوحيد الذاتي والتوحيد العبادي، لأننا في هذه الزيارة سنتناول معاني التوحيد وسنتناول معاني الولاية، وحينما نصل إلى التوحيد سيكون الكلام مفصلاً إن شاء الله تعالى بهذا الخصوص بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبهذا تتم المقدمة الثانية من مقدمات الزيارة الجامعة الكبيرة وتتمة الحديث إن شاء الله تعالى تأتينا بحول الله تعالى وقوته في الحلقة القادمة، أسألكم الدعاء جميعاً وأتمنى لكم أوقاتاً صالحةً وأوقاتاً هانئةً بولاية عليٍّ وآل علي خصوصاً ونحن في أيام شهر رجب شهر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، في أمان الله.

**وفي الختام :**

**لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.**

**مع التحيات**

**المُتابَعة**

**زهرائيون**

**1433 هـ**